

حقيقة التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

أ.د عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار



الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
إدارة المطبوعات والنشر

البريد الإلكتروني
pub@gph.gov.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم التنزيل على لسان نبيه الصادق الأمين ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول رب العالمين القائل في سنته «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(١)، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فهذه رسالة لطيفة في بيان حقيقة التوسل بالنبي ﷺ، وهي عبارة عن شبهات وردود مما احتج به المبتدعة ممن يجيز

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قول الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ (٣١٨٩).

التوسل بالنبي ﷺ، نوضح في مقدمتها معنى التوسل والوسيلة، وأنواع التوسل المشروع والممنوع ثم نذكر الشبه التي تعلق بها أهل البدع ممن يجيز التوسل بالنبي ﷺ، ثم نقوم بالرد عليها بالأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا وعلى من ابتلي بذلك بالهداية والتوفيق، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح إنه سميع قريب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه أبو محمد

أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

معنى الوسيلة

التوسل: الذي جاءت به نصوص كتابنا العزيز، وفي كلام نبينا محمد ﷺ، وهو كذلك عند علماء اللغة والمحدثين والمفسرين، معناه: التقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبينا محمد ﷺ.

قال في القاموس المحيط: «الوسيلة»، والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلا، عمل عملاً يتقرب به إليه.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥].
قال: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة: هي



الفعيلة من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا، بمعنى تقربت إليه، ومنه قول عنترة:

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ ** إِنْ يَأْخُذُوكِ، تكَحَّلِي وتَخَضَّبي

يعني بالوسيلة القربة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

فحاصل ما ذكره -رحمه الله- أن الوسيلة هي: «التقرب إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه».

وبذلك يمكننا أن نحدد معنى الوسيلة في الشرع فنقول: «قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه، والتوسل هو التقرب إلى الله بتلك القربة، وتوسل الداعي هو طلبه المبني عل تلك القربة، وليس في الشرع مطلوب ومدعو إلا الله، وليس فيه من قربة إلا ما شرعه في الكتاب والسنة.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٠).

معنى التوسل بالنبي ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وحينئذ فلفظ التوسل له معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة، فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته، والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم، فهذان جائزان بإجماع المسلمين.

ومن هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، أي: بدعائه وشفاعته، وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي القربة إليه بطاعته. وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فهذا التوسل الأول هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس، علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائما.

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

* **أحدها**: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

* **والثاني**: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

* **والثالث**: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في

الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة»[(١)].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٧٢).

أنواع التوسل

التوسل من حيث قسمه ينقسم إلى قسمين:

الأول: توسل مشروع.

الثاني: توسل غير مشروع.

أولاً: التوسل المشروع

تعريف التوسل المشروع: هو كل توسل ندب إليه الشارع وحث عليه، وبينه لنا نبينا ﷺ، أي ما كان موافقاً لما شرع الله من التقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها.

أنواع التوسل المشروع:

ينقسم التوسل المشروع إلى أربعة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وروى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ سَمِعَ رَجُلا وَهُوَ يَقُولُ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، فَقَالَ: قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**»[١].

---

(١) رواه الترمذي، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج١ رقم ١٠١٨).



ومن الأمثلة على هذا النوع:

ما رواه أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ «سمع رجلاً يدعو «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ الْمَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَقَالَ النَّبِيُّ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟**» قَالَ: فَقَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(١).

ومن الأمثلة أيضاً ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ**

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصححه الألباني في سنن النسائي (٣/ ٥٢) رقم (١٣٠٠).

يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه حينما طلب منه أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته، قال: «قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٢).

ومن الأمثلة على التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته قوله ﷺ: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي»(٣).

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه(١٢٨٩).

(٢) رواه البخاري ـ كتاب الدعوات ـ باب الدعاء في الصلاة(٥٨٥١)، مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤٨٧٦).

(٣) رواه النسائي، وصححه الألباني في سنن النسائي (٣/ ٥٤) رقم (١٣٠٥).

فهذا توسل لله تعالى بصفة من صفاته وهي العلم والقدرة.

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به:

من أنواع التوسل المشروع أن يتوسل العبد إلى ربه بالإيمان الصحيح الصادق، دليل ذلك ما حكاه الله تعالى عن أولي الألباب في دعائهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ومن السنة ما رواه الترمذي وغيره عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ «**سمع رجلاً يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ قَالَ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»**[(١)].

---

(١) رواه الترمذي، والنسائي، وأحمد، وصححه الألباني في جامع الترمذي (٥/ ٥١٥) رقم (٣٤٧٥).

فمتى قال العبد: اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي ووفقني، أو يقول: اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا، جاز له ذلك لأنه توسل إلى الله تعالى بنوع من التوسل المشروع.

الثالث: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح:

من أنواع التوسل المشروع أن يتوسل العبد إلى الله بطاعته وصالح عمله، دليل ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلاءِ لا يُنْجِيكُمْ إلا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ

مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنْ الْجُوعِ فَكُنْتُ لا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا

قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتْ اتَّقِ اللهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[(١)].

فهؤلاء الثلاثة نفر توسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم فنجاهم الله تعالى من هذه الصخرة.

الرابع: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح.

ومن التوسل المشروع أيضاً أن يتوسل العبد بدعاء غيره، وهذا النوع على وجهين:

* **الأول**: أن تكتفي عن دعائه بدعاء من سألته الدعاء، كما كان هذا حال بعض الصحابة حينما يسألون الدعاء من النبي ﷺ، وذلك لعلمهم أن دعاءه عند ربه مستجاب.

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب حديث الغار (٣٢٠٦)، مسلم ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤٩٢٦).

* **الثاني**: أن تسأل الدعاء من العبد الحي الحاضر، فيدعو لك وتتوجه أنت إلى الله متوسلاً بدعائه، وهذا مثل حديث الأعمى الذي اُحتج به على جواز التوسل بالنبي ﷺ، وسيأتي الرد على هذه الشبهة.

ثانياً: التوسل الغير مشروع

التوسل غير المشروع هو التقرب إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة شرعية، كالتوسل إلى الله بذوات المخلوقات، كالملائكة، والنبيين، والصالحين، أو بالأمكنة كالكعبة والمشعر الحرام، أو بالأزمنة الفاضلة كشهر رمضان، وليلة القدر، وأشهر الحج.

فهذا النوع من التوسل محرم لأنه من اللغو الباطل المخالف للمنقول والمعقول.

فمتى قال العبد اللهم إني أتوسل إليك بالنبي الفلاني، أو أتوسل إليك بالكعبة، أو بشهر رمضان، أو ليلة القدر وغير ذلك كل هذا لا يجوز، فهذا كله إما أن يكون شركاً أو وسيلة إلى حصول الشرك، ولهذا جاءت الشريعة بالنهي عن هذا النوع من التوسل.

وهذا النوع من التوسل له ثلاثة أوجه:

* **الأول**: أن يتوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسل به، كأن يقول: «اللهم إني أتوسل إليك بفلان ـ يعني بذلك ذاته وشخصه» ـ.

* **الثاني**: أن يتوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقه أو حرمته أو بركته، كأن يقول المتوسل: «اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك، أو حقه عليك، أو بحرمته أو بركته أن تقضي لي حاجتي».

* **الثالث**: أن يتوسل المتوسل على الله بالمتوسل به: كأن يقول: «**اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي لي حاجتي**».

فهذه ثلاثة أوجه في التوسل بالمخلوق قد أجازها المستحلون للتوسل، والحقيقة أن كل هذه الأنواع باطلة فاسدة مخالفة لأصول الشريعة.

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ**»[١].

فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدل عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته إلى عمه العباس الذي هو حي بينهم، ففيه إثبات التوسل بالنبي ﷺ في حياته، وبأهل الفضل ولاسيما ذوو قرابته بعد موته، والمقصود بالتوسل بالأحياء بدعائهم إذا كانوا معنا أحياء، أما إن كانوا أمواتاً أو كانوا غائبين فلا يشرع التوسل بهم.

(١) رواه البخاري ـ كتاب الجمعة ـ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٩٥٤).

ذكر الشبهات التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه مضاهاة للحق وأهله

هناك بعض الشبه حول بعض الأدلة التي يستخدمها المروجون للبدع في الدعوة لبدعهم المذمومة وسنذكر بعضا منها ثم نجيب عليها بما تيسر:

الشبهة الأولى:

يقول المبتدعون: أما دليلنا على جواز التوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ، فقد جاءت به نصوص الكتاب والسنة ثم يذكرون دليلهم على ذلك، وهو قوله تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة:٣٥]. والمعنى عندهم أي يا أيها الذين آمنوا حققوا التقوى وإذا أردتم دعائي اطلبوا إليّ وسيلة لكي أستجيب لكم ولا وسيلة أفضل من النبي عندنا.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤]، ثم يذكرون قصة ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية.

الشبهة الثالثة:

من السنة: ما رواه الترمذي في جامعه أنه قال: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمرو، ثنا شعبة بن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف: «أَنَّ رَجُلا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ قَالَ فَادْعُهْ قَالَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى

لِيَ اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»[١]، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه.

وفي بعض الروايات: «يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ..» إلى آخره[٢].

الشبهة الرابعة:

ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة سهل ابن حنيف «أَنَّ رَجُلا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ وَكَانَ عُثْمَانُ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ ابْنُ حُنَيْفٍ اِئْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ اِئْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَيَقْضِي

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني في المشكاة (ج٢ رقم ٢٤٩٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج١ رقم ٤١٥)

حَاجَتِي وَتَذْكُرُ حَاجَتَك وَرُحْ إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَك، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطَّنْفَسَةِ وَقَالَ مَا حَاجَتُك فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ ثُمَّ قَالَ مَا ذَكَرْت حَاجَتَك حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ. وَقَالَ مَا كَانَتْ لَك مِنْ حَاجَةٍ فَأْتِنَا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَقَالَ لَهُ جَزَاك اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْته فِيَّ فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ وَاللَّهَ مَا كَلَّمْته وَلَكِنْ شَهِدْت رَسُولَ اللَّهَ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ تَصْبِرُ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهَ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ فَوَاللَّه مَا تَفَرَّقْنَا

وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ»[١].

الشبهة الخامسة:

يروي بعض المبتدعين حديثاً وفيه: «**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**»[٢]، فهذا عام في حياته وبعد مماته فيجوز ـ على قولهم واحتجاجهم بهذا المدعى ـ التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج١ رقم ٤١٥)

(٢) قال فيه الألباني تعليقاً على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ في كتاب التوسل والوسيلة، ص١١٧: «هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة».

الجواب على الشبهة الأولى

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

أولاً: من الأمور المسلم بها عند أهل السنة والجماعة أن تفسير كلام رب العالمين له ثلاث طرق:

* **الأولى:** إما أن يفسر القرآن بالقرآن.

* **الثانية:** وإما أن يفسر القرآن بما جاء عن النبي ﷺ.

* **الثالثة:** وإما أن يفسر بما فهمه سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فهم أعلم الناس بمراد الله بعد نبيه ﷺ، فمن عدل عن قولهم وخاض في تفسير كلام رب العالمين دون الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة فقد ضل.

وكذا قال السلف: كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف. فالذي يريد النجاة في الدنيا من الوقوع في الزيغ وفي الآخرة من عذاب رب العالمين عليه أن لا يتجاوز ما ذُكر.

ثانياً: للإجابة عن هذه الآية نذكر كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- **فيها، فإن تفسيره لمعنى الوسيلة والتوسل فريد من نوعه لم يسبقه أحد إليه.**

قال -رحمه الله-: «إذا عُرِفَ هذا فقد تبين أن لفظ «الوسيلة» و«التوسل» فيه إجمال واشتباه يجب أن يعرف معانيه، ويعطى كل ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك.

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء أكان محرماً أم مكروهاً أو مباحاً، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا بذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة لقوله ﷺ: «سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[(١)].

وقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ «إنك لا تخلف الميعاد» حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة، وقد أمرنا ﷺ أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب الصلاة ـ باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (٥٧٧).

(٢) رواه البخاري ـ كتاب الأذان ـ باب الدعاء عند الأذان (٥٧٩)، وزيادة «إنك لا تخلف الميعاد» رواها البيهقي (١/ ٤١٠) وصححها ابن باز ؒ في تحفة الأخيار ص ٣٨.

عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت له الشفاعة يوم القيامة، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم لأن الجزاء من جنس العمل، فإن الشفاعة من جنس الدعاء كما قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[١].

ثم قال -رحمه الله-: «وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيهم الصلاح».

وحينئذ فلفظ التوسل له معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة.

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب الصلاة ـ الصلاة على النبي ﷺ (٦١٦).

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء:

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ**»(١)، أي بدعائه وشفاعته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فهذا التوسل الأول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الجمعة ـ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٩٥٤).

من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر ـ فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس عُلِمَ أن ما يُفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة فإنه مشروع دائماً.

والخلاصة: أن لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

* **أحدها**: التوسل بطاعته؛ فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

* **والثاني**: التوسل بدعائه وشفاعته؛ وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة حيث يتوسل الناس بشفاعته.

* **والثالث**: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في



الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة. انتهى المراد [١]. فما أجمل كلامه وما أحسنه ففيه شفاء للعليل من علله. أسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين.

---

(١) التوسل والوسيلة، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٩٩-٢٠٢).

الجواب على الشبهة الثانية

وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

هذه الآية احتج بها المبتدعون على جواز بدعتهم في طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته، فتراهم يأتون إلى قبر النبي ﷺ فيقولون: يا رسول الله استغفر لنا أو ادعوا الله أن يغفر لنا ونحو ذلك، بل زعموا أن هذه الآية باقية في الحكم في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، بل جعلوها من قبيل الناسخ والمنسوخ، أي لم يأت ناسخ لها فينسخها، وهذا جهل مركب بنصوص الكتاب العظيم.

وكما أسلفنا الذكر أنه يجب الرجوع إلى فهم السلف في كل ما يختلط علينا فهمه من كتاب الله ولا نتبين المراد منه، لأنهم عايشوا التنزيل وسمعوا من رسول الله ﷺ.

وسنذكر بعض أقوال أهل العلم ممن فسروا هذه الآية لنبين لأهل الأهواء أنه لم يأت في تفسير واحد منهم جواز الذهاب إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستغفار منه.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره: «يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف الله صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دُعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدُّوا صدودا ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها [جَاءُوكَ] جاءوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم ويسأل لهم رسوله ﷺ مثل ذلك وذلك هو معنى قوله ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ .

وأما قوله: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنوبهم ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ يقول: راجعاً لهم ما يكرهون إلى ما يحبون ﴿رَحِيمًا﴾ بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه» انتهى كلامه رحمه الله[1].

قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله-: «وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾، أي معترفين بذنوبهم باخعين بها ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، أي لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته، لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك»[2].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٥١٧)

(٢) تفسير ابن سعدي تيسير الكريم الرحمن، سورة النساء، الآية: ٦٤ جـ٢ ص ٩٣- المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي

وممن أجاب على هذه الآية إجابة مستفيضة العلامة الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي، وسنذكر فيما يلي جانباً من رده على السبكي في هذه الآية.

قال السبكي: «الباب الخامس في تقرير كون الزيارة قربة وذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس: أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال السبكي: دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيما له.

«فإن قلت» المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم وبعد الموت ليس كذلك (قلت) دلت الآية على تعليق وجدانهم أن الله ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ بثلاثة أمور: المجيء،

واستغفارهم، واستغفار الرسول، فأما استغفار الرسول فإنه حاصل لجميع المؤمنين لأن رسول الله ﷺ استغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]، إلى آخر ما قاله السبكي.

فأجاب ابن عبد الهادي رحمة الله عليه فقال: «الجواب أن يقال: قوله: وهي قربة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، الكلام عليه من وجوه:

* **الأول**: مطالبته بتصحيح دعواه وإلا كانت مجردة عما يثبتها.

* **الثاني**: القربة هي ما جعله الله ورسوله قربة، إما بأمره أو بإخباره أنها قربة، وإما بالثناء على فاعلها، وإما بجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئة، ونحو ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوبا لله.

* **الثالث**: أنه لا يكفي أن يكون الفعل محبوبا له في كونه قربة وإنما يكون قربة إذا لم يستلزم أمرا مبغوضاً مكروهاً له أو تفويت أمر هو أحب إليه من ذلك الفعل، وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة.

* **الرابع**: أنه يتقرب إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعين ما نهى عنه وحذر منه الأمة بقوله: «**لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا**»[1]، ومعلوم أن جعل الزيارة من أفضل القرب ملزم لجعل القبر من أجل الأعياد.

* **الخامس**: أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] الآية فالكلام فيها في مقامين:

---

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في كتاب تلخيص أحكام الجنائز، ص٨٩.

* **أحدهما:** عدم دلالته على مطلوبه.

* **الثاني:** بيان دلالتها على نقيضه وإنما يتبين الأمر بفهم الآية ما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته يستغفر لهم، وقد ذم الله تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥].

وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم الظلم، ثم لم يجئ إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له.

إلى أن قال -رحمه الله-: وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعا ولو كان حقا لسبقونا إليه - يعنى السلف - علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو في سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المتأخر.

إلى أن قال -رحمه الله-: أما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه ﷺ صورها بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة لكان خير

القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفّق لها هؤلاء الغلاة العصاة..» إلى آخر كلامه -رحمه الله-.

أما قوله ـ أي السبكي ـ: «وكذلك فهم العلماء العموم من الحالتين»: فيقال: من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام، فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة وأهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به وأرشد إليه. فدعواك على العلماء بطريق العموم وهذا الفهم دعوى باطلة»[(١)].

ومما استدل به السبكي عند تأويله هذه الآية القصة المشهورة التي يدندن عليها المبتدعون لترويج بدعهم وهي ما رواه أبو الحسن بن علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهبل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله

---

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٤٢٧-٤٢٩ .

عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه إلى قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه ترابه، وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله عز وجل فما وعينا، وكان فيما أنزل الله عز وجل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمت نفسي جئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه غفر لك[1].

الجواب على هذه القصة: قال ابن عبد الهادي -رحمه الله- : إن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض.

والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي فإن يكن هو فهو متروك كذاب وإلا فهو مجهول[2].

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥١٩-٥٢٠)، الصارم المنكي، ص ٤٣٠.

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي، ص ٤٢٣ ـ ٤٣١.

الجواب على الشبهة الثالثة

حديث الأعمى الذي رواه الترمذي وفيه «..**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ..**»[١].

الجواب على هذا الحديث: هذا الحديث مما تعلق فيه المبتدعون المشركون ممن أجاز التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته، فقالوا: فلو كان دعاء غير الله شركاً لم يعلم النبي ﷺ الأعمى هذا الدعاء الذي فيه توسل ونداء غير الله.

فنقول: الجواب عليه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: هذا الحديث مختلف فيه بين الصحة والضعف. وممن ضعفه صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، فقال: «ووجه عدم ثبوته

---

(١) سبق تخريجه، ص٢٣.

أنه قد نص أن أبا جعفر الذي عليه مدار هذا الحديث هو غير الخطمي، وإذا كان غيره فهو لا يعرف»[١].

أما الذين صححوه فهم شيخ الإسلام -رحمه الله- في رسالته التوسل والوسيلة، حيث أفاض فيه إفاضة تامة وبين طرفه الصحيح منها والضعيف فليراجع[٢].

وممن صححه أيضاً العلامة الألباني في مشكاة المصابيح حيث قال وإسناده صحيح، ومن ضعفه من المتأخرين فما أصاب كما لم يصب من استدل به على التوسل بالأشخاص، وإنما هو دليل على التوسل بدعاء الرجل الصالح كما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٤٤.

(٢) التوسل والوسيلة، ص ٩٢ - ١٠٠.

(٣) انظر: مشكاة المصابيح للألباني، رقم(٧٦٩٢).

الوجه الثاني: أنه على افتراض صحة الحديث فإنه لا يدل على سؤال الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، ولذا فالحديث فيه التوسل بالنبي ﷺ إلى الله في الدعاء. أي بدعاء النبي ﷺ الذي علمه إياه، فهذا الصحابي لم يطلب من النبي ﷺ إلا ما يقدر عليه وهو طلب الدعاء له فهذا لا إنكار فيه، وإن كان هذا الصحابي توجه إلى الله من غير سؤال منه نفسه فهو لم يسأل منه، وإنما سأل من الله به. فالخلاصة أنه توسل بدعاء النبي ﷺ[١].

---

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في رسالته ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٩٢ ـ ١٠٠، وكذا كلام صاحب كتاب الصارم المنكي فإن فيهما كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الجواب على الشبهة الرابعة

الجواب عليها من جنس سابقتها إلا أن هذه الشبهة قد تكون دليلاً لمن قال بجواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، والجواب عليها أن يقال:

* **أولاً:** أنها رواية مختلف فيها بين الصحة والضعف.

* **ثانياً:** على افتراض صحتها فإنها ليس فيها دليل على دعاء الميت والغائب غاية ما فيها أنه توجه إلى الله بنبيه ﷺ بدعائه.

* **ثالثاً:** أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعيا له ولا شفيعاً فيه فقد علمنا أن أكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعا بعد موته كما كان يشرع في حياته، فتراهم عند حالة الجدب إذا كانوا في

الاستسقاء لا يأتون قبره ولا يتوسلون إلى الله به، بل كانوا يعدلون إلى غيره ممن هو حي بينهم كما فعل عمر ومعاوية بن أبي سفيان.

* **رابعاً:** حديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال في الدعاء «**قل: اللهم فشفعه فيّ**»[(١)]، وإذا قُدِّر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعض وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته كان ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الموافق لسنة الرسول ﷺ وكان المخالف لعمر محجوجاً بسنة رسوله ﷺ وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه لا له[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه، ص٢٣.

(٢) انظر التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ×، ص ٩٥ ـ ١٠٠.

الجواب على الشبهة الخامسة

في التوسل بجاه النبي ﷺ: الجواب عليها ما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله- حيث قال: «وروى بعض الجهال عن النبي ﷺ أنه قال: وذكر الحديث، ثم قال: وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع أن جاهه عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين.

إلى أن قال -رحمه الله-: ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه»[١]. فالحاصل أن هذا الحديث موضوع وكذب وافتراء على النبي ﷺ.

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

فسؤال الله بجاه النبي ﷺ لم يعرف عن السلف وأنكره العلماء المحققون وعدوه من الأمور البدعية في الدين ولا ينبغي لأحد أن يسأل الله لا بجاه النبي ﷺ ولا بجاه غيره.

وأحاديث سؤال الله بالمخلوقين أو بجاههم ومنزلتهم واهية وموضوعة ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها أو اعتمد عليها إذ أن سؤال الله بسبب لا يناسب إجابة الدعاء فلا يحلف على الله بمخلوق ولا يسأله بجاه مخلوق أو بذاته أو بمنزلته وإنما يسأل الله بالأسباب التي تناسب إجابة الدعاء كسؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وبالعمل الصالح قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦﴾ [آل عمران:١٦] »[١].

---

(١) تنبيه زائر المدينة على المشروع والممنوع من الزيارة للشيخ صالح السدلان، ص ٥٠.

فهرس الموضوعات



تنفيذ
إدارة المطبوعات والنشر
PUB@GPH.GOV.SA